كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الاخرة لكل من
كذب على الله فمتى يتحقق هؤلاء البينة من ربهم مع كونهم من اهل اللعنة الا لعنة الله على
الظالمين يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم من رحمته وهذا تهويل عظيم مما يحيق بهم
حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ق عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض
له رجل فقال يا باعبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا
وكذا فيقول اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى
بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى الذين يصدون
عن سبيل الله اى يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتحريف وادخال الشبه وهذه
الاية متصلة بما قبلها لان الذين يصدون وصف للظالمين ويبغونها عوجا اى يطلبون السبيل معوجة
يعنى يطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة على صحة الاسلام ثم اكد توجههم
وكفرهم واختصاصهم به فقال وهم بالاخرة هم كافرون اى والحال انهم كافرون بالاخرة
مع صدهم عن سبيل الله اولئك الموصوفون بالاحوال الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين فى الارض
اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم قال ابن عباس معنى معجزين اى سابقين وقيل هاربين
وقيل فايتين فى الارض وقيل مفلتين اى لم يكونوا معجزين الله مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد اخذهم
وان هربوا فى سعة الارض كل مهرب لانهم فى قبضة الله وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا اراد هم
وطلبهم بالعقاب والانتقام منهم وما كان لهم من دون الله اى من غير الله
من اولياء اى من انصار يمنعونهم من عذاب الله ولكن الله اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون
اشد واذوم يضاعف لهم العذاب استيناف وابتداء كلام من الله تعالى لبيان كون
عذابهم مضاعفا وقيل هو من كلام الاشهاد على سبيل الدعاء عليهم تخصيصه يزاد عذابهم فى الاخرة
بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد والباقون بالالف من المضاعفة يعنى يزاد للرؤساء منهم العذاب بكفرهم وبما اضلوا به غيرهم
ما نافية كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له فهذه الجملة مستانفة كانه
قيل ما بال هؤلاء الضالين استوجبوا مضاعفة العذاب فقيل لانهم ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون الحق لتعاميهم عن ايات الله لفرط كراهتهم له كانهم لم يستطيعوا ذلك قال
قتادة معناه صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فيأخذوا به
وقال ابن عباس اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا وفى الاخرة اما فى الدنيا
فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة فانه لا يستطيعون
خاشعة ابصارهم قال الشيخ قوله ما كانوا وما كانوا علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما
نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح

الولاية

للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بين البيان والمبين اولئك الذين خسروا
انفسهم يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة
الله باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى الا وضل عنهم ما كانوا يفترون يعنى
وبطل وضاع وغاب عنهم كذبهم وفريتهم وافكهم على الله من دعوى الشريك وبان الملئكة
والاصنام تشفع لهم فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة قوله تعالى لا جرم يعنى حقا وقال
الفراء لا محالة وقال الازهرى لا بد اى ثبت وحق وفى هذه اللفظة خلاف بين النحويين وتلخيص
ذلك فى خمسة اوجه احدها وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس انهما ركبا من لا النافية
وجرم وبنيا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعد
هذه اللفظة بالفاعلية وهو قوله تعالى انهم فى الاخرة هم الاخسرون فالمعنى حق وثبت كونهم
فى الاخرة هم الاعظمون خسرانا والاشدون عذابا والثانى ان لا جرم بمنزلة لا رجل فى كون لا
نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وهى واسمها فى محل الرفع بالابتداء وما بعدهما
خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولا بد الثالث كالذى قبله الا ان ان وما بعدها فى
محل النصب او الجر بعد حذف الجار اذ التقدير لا محالة فى انهم فى الاخرة اى فى خسرانهم الرابع ان
لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله لا كما ترد لا هذه فى قوله
لا اقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهى جرم ان لهم كذا وجرم فعل ماض
معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام وان وما فى حيزها فى
موضع المفعول به لان جرم يتعدى اذ هو بمعنى كسب فتقدير الاية كسب فعلهم او قولهم خسرانهم
وهذا هو قول الزجاج وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدأ بقوله جرم بخلاف ما تقدم الخامس
ان معناها لا صد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول جرمت اى قطعت فيكون جرم
اسم لا مبنى معها على الفتح كما تقدم وخبرها ان وما فى حيزها وعلى هذه التقادير كلها فمعناه
انهم اخسر من كل خاسر وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين
من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير ثم لما ذكر فريق الكفار
واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع فى بيان حال اضدادهم اعنى فريق المؤمنين وما يؤول
اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة فى قوله تعالى افمن كان على
بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقال ان الذين امنوا
اى صدقوا بكل ما يجب ان يصدقوا به وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح
واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله قال ابن عباس واخبتوا اى
خافوا وعنه ايضا الاخبات الانابة وعن قتادة معناه الخشوع والتواضع وعن مجاهد
معناه اطمانوا وسكنوا فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة واخواتها كان معنى الكلام انهم ياتون
بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين
الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع واخواتهما كان معناه انهم ياتون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1